خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/١٧

في مسجد فضل بلندن بريطانيا

قد أقام أبناء الجماعة نماذج عظيمة في خدمة الإنسانية والإخلاص والوفاء

★... الجماعة الأحمدية قد أدّت أعمال خدمة الخلق بسخاء

★... دعوة الأطباء إلى الوقف الدائم والمؤقت

★... نموذج صحابة المسيح الموعود عليه السلام في خدمة الخلق

★... اعتراف غير الأحمديين بلسانهم بخدمة الجماعة الأحمدية للخلق

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

في الجماعة، يُولى اهتمام بالغ لخدمة الخلق وخدمة البشرية، وكل فرد سواء أكان غنيًّا أم فقيرًا يسعى وفق طاقته وإمكاناته إلى انتهاز الفرصة لأداء أعمال خدمة الخلق ابتغاء مرضاة الله. والسبب في انفتاح قلب كل أحمدي على أعمال خدمة الخلق هو تلك التعاليم الإسلامية الجميلة التي كنا قد نسيناها، وهي أنكم إن أردتم محبة الله تعالى فأحسنوا المعاملة مع خلقه، واعتنوا باحتياجاتهم. فهذا أيضًا وسيلة عظيمة تُقرّبكم من الله تعالى. وقد جعل المسيح الموعود عليه السلام هذه التعاليم الجميلة شرطًا أساسيًّا من شروط البيعة، وهو أنكم بعد انتسابكم إليه يجب ألا تكتفوا بالتعاطف مع خلق الله تعالى بكل ما أوتيتم من قوى ونعم، بل يجب أن تُسدوا إليهم النفع أيضًا. لذا ترون أنه إن احتاج المنكوبون في الزلازل إلى العون فالأحمدي في الطليعة، وإن احتاج المنكوبون في الفيضانات إلى المساعدة فالأحمدي في الطليعة. بل في بعض المناسبات قدّم شباب أحمديون أرواحهم فداءً وهم يشقّون عباب الأمواج الهوجاء، لكنهم أنقذوا الغرقى وأوصلوهم إلى الشاطئ.

ثم حين أعلن خليفة الوقت أنه يحتاج إلى مبلغ معين لفتح مدارس ومستشفيات لأطفال أفريقيا الفقراء والمرضى الذين يُعانون ولا تتوفر لهم سبل العلاج، استجاب أفراد الجماعة لذلك النداء بالروح التي ينبغي أن تسكن قلب كل أحمدي تجاه الإنسانية المعذَّبة، فوضعوا بين يدي خليفة الوقت أضعافًا مضاعفة مما طُلب منهم. وحين قال خليفة الوقت إن المال قد توفّر وإنه يحتاج الآن إلى أفراد لإدارة هذه المدارس والمستشفيات، تقدّم الأطباء والمعلمون بأنفسهم بإخلاص تام. الأوضاع في أفريقيا اليوم أفضل بكثير من الماضي، ولكن في السبعينيات حين أُطلق مشروع "نصرت جهان" كانت الأوضاع هناك في غاية الصعوبة. وقد تحمّل هؤلاء الأطباء والمعلمون تلك الأوضاع العسيرة وعاشوا فيها، فبعضهم كانوا في وظائف جيدة، غير أنهم بعد وقف حياتهم ذهبوا للإقامة في القرى الأفريقية أيضًا. إذ كانت أغلب المستشفيات والمدارس في قرى لا تتوفر فيها كهرباء ولا ماء، لكنهم كانوا يرون الوفاء بعهد البيعة في خدمة الإنسانية المعذَّبة واجبا عليهم، فلم يعيروا أي اعتبار لأي عائق أو افتقار إلى الوسائل.

وكان حال المستشفيات في البداية بحيث يُؤتى بطاولة خشبية يُضجَع عليها المريض، ويُعوَّض شُح

الإضاءة بعدد من المصابيح أو مصباح الغاز، وكان الطبيب يُجري العملية بما يتوفر لديه من مشارط وسكاكين ومقصات وأدوات جراحية، ثم يُقبل على الدعاء قائلاً: "اللهم إني قد عالجته بما أملك، وقد أمرني خليفتي بأن أعالج بالدعاء، وأن الله سيجعل في يدي شفاءً كثيرا، فاشفِ يا ربي."

فشكر الله تعالى سعي هؤلاء الأطباء المضحّين، وشفى على أيديهم مرضى لا علاج لمرضهم، حتى كان الناس يندهشون. ثم إن الله تعالى سدّ الاحتياجات المالية بصورة أعجبت الناس، إذ بات كبار الأثرياء يُفضّلون التوافد على مستشفياتنا الصغيرة في القرى للعلاج تاركين وراءهم المستشفيات الكبرى في المدن. وكذلك، زوّد المعلمون الأحمديون أيضًا الأطفال بالتعليم وهم مفعمون بروح خدمة البشرية. ولا تزال خدمات الأطباء والمعلمين مستمرة حتى اليوم، ندعو الله تعالى أن تستمر هذه الخدمات وأن يجزي جميع هؤلاء الخدام أجرًا عظيما.

في مناسبة الجلسة السنوية، كنتُ قد لفتّ انتباه الأطباء الأحمديين إلى ضرورة وقف أنفسهم، بصفة دائمة أو مؤقتة، لخدمة مستشفياتنا في أفريقيا. لقد تحسّنت جدا أحوالُ أفريقيا الآن، بفضل الله تعالى، ولم تعد تلك الصعوبات والعقبات التي واجهها المتطوعون الأوائل قائمةً، بل إن الأوضاع في أغلب الأماكن باتت أفضل بكثير وتتوفر فيها جميع التسهيلات. وإن كانت ثمة مصاعب قليلة، فليضعوا أمامهم عهد البيعة، "أن ينفع أبناءَ جنسه قدر المستطاع بكلّ ما رزَقه الله من قوًى ونِعَم." فليتقدم الأطباء ويوفوا بهذا العهد المقطوع مع مسيح الزمان عليه السلام، ولينالوا نصيبهم من دعواته.

وكذلك الحال في ربوة، إذ تحتاج مستشفى فضل عمر إلى أطباء، فينبغي للأطباء أن يتطوعوا للخدمة هناك أيضًا.

وفضلًا عن ذلك، في باكستان وفي الدول الأخرى، يُسهم أفراد الجماعة باستمرار في دعم تعليم الأطفال وعلاج المرضى تحت نظام الجماعة. وفي دول كباكستان والهند حيث ساد الفقر جدا، فإن المتبرعين لهذا الغرض ينالون دعوات المرضى جزاءً على خدمتهم. لذا ينبغي لأفراد الجماعة الاستمرار في هذا العمل الصالح بل ومضاعفته، لإن المعاناة أيضًا تتفاقم بسرعة.

أقدّم الآن بعض الواقعات للسلف الصالح الذين كانوا مفعمين بروح خدمة الخلق.

يكتب الراوون عن نموذج السيد مرزا أيوب بيك رضي الله عنه أنه كان مثالًا حيًّا لذلك الشخص الذي، وفقًا للحديث الشريف، يُحب لأخيه ما يُحبه لنفسه، ولا يعامل أخاه بما يكره لنفسه. وكان دائمًا يسعى إلى أن يجد فرصة لخدمة أحد إخوانه وأصدقائه ومساعدتهم. وقد وردت في شأنه روايات تذكر أنه حين

كان يدرس في الكلية، وكلما أُقيمت محاضرة للجماعة، كان يحضر ويذهب ليلتقي بكل أحمدي هناك، وإذا مرض أحد الإخوة ذهب إلى منزله وعاده، وربما تردّد على المرضى للاطمئنان عليهم كل يوم تقريبًا. وذات مرة مرض المفتي محمد صادق ﵁ مرضًا شديدًا، فأقام عدة أيام في منزل المفتي يخدمه ليلًا ونهارًا، وكان إذا اضطُر في بعض الأحيان خلال فترة مرضه إلى تنظيف الأوساخ، فكان يفعل ذلك دون تردد. (أصحاب أحمد ﵇، الجزء الأول، ص ١٩٩-٢٠٠)

ثم كتب شودري ظفر الله خان ﵁ عن والدته أنها كانت تقول: إذا لم يكن الله عدوًا لك، فماذا يستطيع أي عدو أن يفعل بك؟ ومن هذا المنطلق، كانت لا تعدّ أحدًا عدوًا لها، وكانت كثيرًا ما تحسن معاملة أعدائها. وكانت تقول: من كنت راضيا به، فإن قلبك سيحبّ من تلقاء نفسه الإحسان إليه، فأي ثواب في ذلك؟ أما إرضاء الله تعالى، فيقتضي من الإنسان أن يُحسن ويبرّ حتى أولئك الذين كان قلبه غير راضٍ عنهم.

كتب أنها حين كانت تقطن في دسكه، كانت معاملتها لأهل المنطقة سخيةً جدا، وكان الناس أيضًا ينظرون إليها بعين الاحترام والتقدير. فلما نشأت فتنة حركة الأحرار، امتدّ أثرها إلى منطقتها، وأخذ أولئك الذين كانوا يتلقّون منها المساعدة يُبدون لها العداء. غير أن هذا العداء لم يترك في نفسها أي أثر، وإذا قال لها أحد من أقاربها: إنك تساعدين فلانًا وهو يعادينا وينتمي إلى حركة الأحرار، فكانت تأخذها الغيرة وتقول ببالغ الاستنكار: "لماذا تمنعوني من هذه الخدمة؟"

يقول الراوي: كانت ذات مرة تُعِدّ بعض الملابس، فسألها أحد: لمن تُعِدّينها؟" فأجابت: "أُعِدّها لأولاد فلان". فقال لها ذلك الشخص: "أمرك غريب حقًا! هذا الرجل من فئة "الأحرار"، وهو شديد المعارضة للجماعة، ومع ذلك تُعِدّين له الملابس؟". فقالت: "إذا كان هؤلاء يُسيئون لنا ويؤذوننا، فإن الله تعالى يحمينا، وما دام الله معنا لن يضرنا إيذاء المعارضين شيئا. لكن هذا الرجل فقير، وليس لديه ما يوفر به الملابس لأطفاله وأحفاده لستر أجسادهم، لذلك أجهّز هذه الملابس لكونه محتاجًا. أما أنت الذي تعترض على ذلك، فعقوبتك أن تذهب أنت إلى بيته وتسلّمها له بعد أن أنتهي من إعدادها". ثم أضافت: "لكن اذهب ليلًا، لأنه من جماعة "الأحرار" ولعل بعض رفاقه يراقبونه فلا أريد أن يتعرض للأذى بسبب أنه أخذ الملابس من الأحمديين". (أصحاب أحمد، ج١١، ص١٧٥-١٧٦)

ثم انظروا إلى أسوتها في رعاية الأرامل والأيتام، فقد كان ذلك من أحب الأعمال إلى قلبها. يقول الراوي إنها كلما كانت تُعِدّ جهاز الزواج للفتيات، كانت تقوم بكل التجهيزات بنفسها وباهتمام بالغ وتعدّ الملابس بيديها. (أصحاب أحمد، ج١١، ص١٨٦)

كان مير محمد إسحاق ﵁ أيضا كثير الاهتمام برعاية الأيتام. كان هناك عدد كبير من الأيتام في دار الأيتام التي كانت تُعرف أيضًا باسم "دار الشيوخ". هناك رواية بهذا الشأن أنه في إحدى المرات كان محمد إسحاق ﵁ مستريحا بسبب حمى شديدة، ويعاني من الوهن والضعف، فجاءه أحد العاملين وقال: "هناك نقص في المواد الغذائية، ولم نتمكن من تدبير شيء، والأولاد لم يتناولوا حتى إفطارهم في الصباح". فقال: "أحضِرْوا عربة حصان فورا". ثم ركبها وذهب إلى بيوت بعض الموسرين، وجمع المواد الغذائية بنفسه حتى أمكن توفير الطعام لهؤلاء الأطفال. هكذا كانت مشاعر أسلافنا؛ إذ قد ضحّى (مير محمد إسحاق) براحة نفسه رغم الحمى الشديدة وخرج من أجل الأيتام. وكيف لا يكون كذلك، إذ كانت في حسبانه بشارة النبي ﷺ: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين"، وأشار إلى السبابة والوسطى وجمع بينهما. تلك كانت أسوة أسلافنا.

هناك رواية عن الحافظ معين الدين ﵁ الذي كان كفيفا، لا يبصر. فقال: كانت الليلة شديدة البرودة، وكانت الأزقة الطينية في قاديان مليئة بالوحل، فكان يمشي بصعوبة ويتعثر وهو متجه إلى مكان ما. فسأله أحد الإخوة: "إلى أين تذهب؟" فقال: "هناك كلبة وضعت جراءها هنا، وكان عندي رغيف خبز، فقلت في نفسي إن الجو ممطر، فأذهب لأعطي الكلبة هذا الخبز". وكان ما قام به السيد الحافظ اقتداء بسنة النبي ﷺ حيث أمر بالرحمة بالحيوانات أيضا. تذكروا حادثا جاء فيه أن شخصا نزل إلى بئر، وملأ خفّه ماءً وسقى به كلبًا، فقال النبي ﷺ إن الله تعالى غفر له بسبب هذا العمل الصالح. فتعجب الصحابة وسألوا: "أو يكون لنا أجر بسبب الإحسان إلى الحيوانات أيضًا؟" فقال ﷺ: "نعم، في كل كائن حي أجر على الإحسان إليه".

هذا، وهناك قصةٌ عن أحد الأحمديين اسمه السيد نور محمد ﵁. كان الطقس في الشتاء قاسيا، ولم يكن يملك السيد نور محمد معطفًا ولا بطانية، وإنما كان يرتدي قميصين فقط، أحدهما فوق الآخر. وبينما كان راكبًا في القطار، رأى شيخًا مُقعدًا عاري الجسد يرتجف من البرد، فخلع فورًا أحد قميصيه وألبسه إياه. وكان يرافقه في السفر سيخي، فلما رأى ذلك قال: "يا أخي، الآن فزتَ بالنجاة، أما نحن فلا ندري ماذا سيكون مصيرنا"! فهذه كانت أسوة كبارنا.

وحدث بعد بضعة أيام أن جاء السيد نور محمد نفسه إلى مسجد بيت الذكر في مغل بوره (أحد أحياء لاهور بباكستان) لصلاة الفجر ملتفا ببطانية جديدة، فرأى رجلًا اسمه فتح دين، كان في وقت من الأوقات ثريًا، لكنه أصبح يعاني من المرض والفقر، وكان يرتجف من شدة البرد. فما كان من السيد نور محمد إلا أن خلع بطانيته الجديدة فورًا وألبسه إياها. (ذكريات منعشة للروح، ص٢٨٧)

وفي أيام تأسيس باكستان عام ١٩٤٧م، كان مئات الآلاف من المهاجرين المنكوبين والمشرّدين والمنهوبين يتوجهون نحو قاديان في القوافل. وكانت الأوضاع آنذاك بالغة السوء، ولم يكن هناك أي ضمان لصون كرامة النساء المسلمات وحمايتهن، وكان جميع المسلمين يعتقدون أنه لو وصلنا إلى قاديان سنكون في مكان آمن.

في ذلك الوقت، كان أفراد الجماعة الموجودون هناك، ومن بينهم الخليفة الثالث رحمه الله تعالى، الذي كان قد عيّنه المصلح الموعود ﷺ مسؤولًا عن تلك المهمة. كان الوافدون إلى قاديان يصلونها في حالة يُرثى لها من البؤس الشديد. وكان بعضهم يعوزهم حتى الملابس. فبادر الخليفة رحمه الله أولًا بإخراج ملابس أهل بيته وأفراد عائلته من الصناديق وتوزيعها عليهم. وكانت القوافل تُنظَّم وتُرسل من قاديان إلى باكستان بترتيبات دقيقة، فكانت تصل إليها بأمان بفضل الله تعالى. وقد أدّى الأحمديون واجب حماية هؤلاء الناس، حتى إنهم ضحّوا بأرواحهم في سبيل تأمين سلامتهم.

ومن شروط البيعة التي وضعها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أننا ننضم إلى الجماعة عاقدين العهد مع الله أنه لم يبق لنا شيء نعدّه ملكًا خالصًا لنا بعد البيعة. فجميع الروابط والعلاقات تبقى قائمة ما دامت مرتبطة بنظام الجماعة وبشخص المسيح الموعود عليه السلام فقط. فلا قرابة ولا علاقة يمكن أن تُبعدنا عنه عليه السلام. فنحن فقراء على عتباته، وهذا هو الأمر الذي نقدّمه على كل شيء. وقد تم الوفاء بهذا العهد على أحسن و أكمل وجه دائما. وسأقدم بعض الأمثلة على ذلك، وقد أشاد إمام الزمان نفسه كثيرا بكلماته بكثير ممن قدموا هذه الأسوة.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"كذلك مُحبنا المخلص المولوي محمد أحسن الأمروهي الذي ينشغل بنشاط في إعداد أروع الكتب تأييدا لهذه الجماعة. أما الصاحبزاده بير سراج الحق فقد قرر أن يعيش هنا زاهدا بقطع علاقته بآلاف المريدين، وميان عبد الله السنوري، والمولوي السيد برهان الدين الجهلمي، والمولوي مبارك علي السيالكوتي، والقاضي ضياء الدين القاضيكوتي، ومنشي شودري نبي بخش من بطالة التابعة لمحافظة

غورداسبوره، ومنشي جلال الدين بلاني وغيرهم من الأحبة يشتغل كل منهم في الخدمة بحسب قدرته. إنني أتعجب من حب جماعتي وإخلاصها، فكثيرون منهم قليلو الدخل جدا أمثال ميان جمال الدين وخير الدين وإمام الدين الكشميري، فهم يسكنون قريبا من قريتي، وهؤلاء الإخوة الثلاثة الفقراء الذين يعملون أعمالا بسيطة مقابل رُبع روبية أو أقل منها يوميا على أكثر تقدير يساهمون في التبرعات الشهرية بحماس ونشاط، كما أتعجب من إخلاص صديقهم ميان عبد العزيز -جابي الضرائب الزراعية- أيضا، الذي رغْم دخْله الزهيد قدَّم لي ذات يوم مائة روبية قائلا: أودُّ أن تُنفَق في سبيل الله. ولعل هذا الفقير تمكن من جمع هذه المائة روبية خلال سنوات عديدة، لكن الحماس من أجل الله أثار لديه الرغبة في نيل رضوان الله ﷻ." (عاقبة آتهم، الخزائن الروحانية المجلد١١، ٣١٣-٣١٤)

ثم قال عليه السلام عن الخليفة الأول رضي الله عنه:

"لقد رأينا الكثيرين ينفقون القليل في سبيل الله تعالى في حال امتلاكهم ثروات هائلة، أما أن ينفق أحدٌ ثروته العزيزة عليه ابتغاء رضا المولى ويبقى بنفسه جائعًا وعطشانًا، وألّا يهتمّ بادخار شيء لنفسه في الدنيا، فإن هذه الصفة لم نرها بصورة كاملة إلا في حضرة المولوي نور الدين. ... وبقدر ما نفعني ماله لا أجد له نظيرا إلى الآن." (الآية السماوية، الخزائن الروحانية المجلد٤، ٤٠٧)

وكتب حضرة الخليفة الأول مولانا نور الدين رضي الله عنه إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

إني فدًى لك، وإن كل ما أملكه فهو ليس لي بل هو لك كله. يا سيدي ومرشدي، أقول بكامل الصدق إنه لو أُنفِقَ جُلُّ مالي في سبيل نشر الدين لفزتُ بمرامي.

وكتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في حضرة منشي ظفر أحمد رضي الله عنه:

"حبي في الله، منشي ظفر أحمد المحترم: إنه شاب صالح، قليل الكلام، شديد الإخلاص، دقيق الفهم، وأمارات الاستقامة وأنوارها بادية عليه، وعلامات الوفاء وأماراته واضحة فيه. يفهم الحقائق الثابتة جيدا، ويستمتع بها. يحب الله ورسوله حبا صادقا. ويتحلى بصفتين: الأدبُ الذي عليه مدار نيل الفيوض والبركات كلها، وحسنُ الظن الذي هو مرْكَب هذا السبيل. جزاهم الله خير الجزاء."

ثم قال المسيح الموعود عليه السلام في حضرة ميان عبد الله السنوري رضي الله عنه:

"حبي في الله؛ ميانْ عبد الله السنوري، هذا الشاب الصالح قد جُذب إليّ نتيجة انسجامه الفطري معي. وإنني على يقين بأنه من الأصدقاء الأوفياء الذين لا يمكن أن يهزّهم أي ابتلاء، (أي لا يزعزعهم أي ابتلاء من مقامهم). لقد مكثَ في صحبتي في أوقات مختلفة إلى شهرين أو ثلاثة أشهر

أو أكثر، فكنت أتفحّص حالته الباطنية بإمعان النظر دوما، فأفتتْ فراستي بعد الوصول إلى كُنْهه أنه شاب شديد الحماس في سبيل حب الله ورسوله، وليس هناك مِن سبب لما يكنّه لي من حب شديد لهذا الحد سوى أنه موقن في قرارة نفسه بأن هذا الشخص من الذين يحبون الله ورسوله." (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية مجلد ٣ ص ٥٣١)

ثم قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن حضرة منشي أروري خان رضي الله عنه:

"حبي في الله؛ منشي محمد أرورا المحترم، المحرر في المحكمة: إنه يملك قلبا رحيبا في الحب والإخلاص والتبجيل. يعشق الصدق ويدركه بسرعة. يقوم بالخدمات بمنتهى النشاط والبشاشة، بل يظل دائم التفكير ليل نهارَ أن يتمكن من أداء أي خدمة. هذا العزيز إنسان منشرح الصدر وفدائيّ، وأرى أنه يعشق هذا العبد الحقير. ولعله لا يفرح بأي شيء أكثر من أن يتمكن من أداء أي خدمة لي بكل ما أوتي من قوة ومال ونفس ونفيس. إنه وفيٌّ بالقلب والروح، ومستقيم الأحوال وشجاع. (أي إنه وفيٌّ في كل حال، وقوي الإيمان وباسل) جزاه الله خير الجزاء."

ثم قال عليه السلام:

"حبي في الله؛ ميان محمد خانْ المحترم، الموظف في ولاية كبورتهله. إنه مسكين الطبع جدا، نقي الباطن، دقيق الفهم، ومحب للصدق. لا يسعني تقدير ما يكنّه لي من إخلاص وتقدير وحب وحسن ظن. وإني لا أخاف أن يحدث نقص في حبه لي، بل أخاف أن يتجاوز الحدود في حبي. إنه وفيٌّ صادق، فدائيٌّ، ومستقيم الأحوال. كان الله معه. وإن أخاه الشاب سردار علي خانْ أيضا منخرط في سلسلة بيعتي. وهذا الشاب أيضا سعيدٌ ورشيدٌ جدا مثل أخيه، حفظهما الله." (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية مجلد ٣ ص ٥٣٢)

ثم يقول عليه السلام:

"أخي الحبيب الذي أحزن قلوبنا بفراقه جدا، المرحوم والمغفور له مرزا عظيم بيك زعيم "سامانة" في منطقة "بتياله"، والذي انتقل من هذه الدار الفانية في الثاني من ربيع الثاني عام ١٣٠٨ من الهجرة، إنا لله وإنا إليه راجعون. العينُ تدمَع، والقلبُ يحزُنُ، وإنا بفراقه لمحزونون. مِن أين آتي بكلمات أتمكن بها من بيان مدى حبه لي وفنائه فيّ لوجه الله خالصةً حقَّ البيان. قلّما أجد في حياتي الخالية نظيرا للغمّ والحزن الذي أصابني بفراقه المفاجئ. إنه فرَطٌ لنا وسلفُنا الذي فارقَنا أمام أعيننا فجأة. لن أنسى حزن فراقه ما دمت حيًّا. إن ذكر فراقه يصيب نفسي بالكآبة، وصدري بالكرب، وتسيل الدموع من عيني

لغلبة الهم والحزن على قلبي. كان قد امتلأ بحبي تماما. وكان مرزا المرحوم شُجاعا جدا في إظهار الحب بحماس." (فتح الإسلام، الخزائن الروحانية مجلد ٣ ص ٣٩)

وقال حضرة القاضي ضياء الدين ﷺ لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام: سيدي، تساور قلبي أفكار متباينة. فمن جهة، أتمنى بكل صدق وإخلاص أن يعرف العالم صدقكم ويطّلع على أنواركم الروحانية، وأن يأتي الناس من كل الأمم وكل العقائد ويرتووا من هذه العين التي أجراها الله تعالى هنا، ومن جهة أخرى، وبرغم هذه الأمنية الصادقة فإني ليحزنني أن الناس الآخرين حين يعرفونكم ويأتونكم بأعداد كبيرة فإني سأُحْرَم عندها من متعة صحبتك وقربك كما أستمتع بها الآن، وستذهب إلى بيوت الآخرين. سيدي، أخاف أن أصبح محروما من فرحة الاستمتاع بالجلوس في صحبتك والحديث معك. فهذه الرغبات المتباينة تنتاب قلبي.

يقول حضرة القاضي: فلما سمع المسيح الموعود عليه السلام كلامي تبسّمَ ضاحكا. (أصحاب أحمد، مجلد ٦ ص ١٠)

وهناك قصة أخرى للقاضي ضياء الدين ﷺ. قال ابنُه حضرةُ القاضي عبد الرحيم ﷺ: مرةً حكى والدي ﷺ بسرور وحبور: بينما كنت أتوضأ سأل المسيحَ الموعود عليه السلام خادمُه حضرة الحافظ حامد علي ﷺ مشيرا إلي وقال: مَن هذا؟ فأخبره عليه السلام باسمي وعنواني ثم قال: "إن هذا الرجل يعشقني". فكان حضرة القاضي ﷺ يفتخر بهذا الأمر ويقول مستغربا كيف اطّلع عليه السلام على ما في قلبي. وكان من نتائج هذا العشق أن حضرة القاضي ﷺ أوصى أولاده وقت موته: لقد جئت بكم إلى باب المسيح الموعود عليه السلام بصعوبة بالغة، فلا تتركوا هذا الباب بعدي أبدا. فقد عمل بذلك أولاده بصورة كاملة. (أصحاب أحمد مجلد ٦ ص٨-٩)

استُشهد حضرة المولوي نعمة الله في كابول في ١٩٢٤ وقبل الشهادة بعث من السجن إلى أحمدي، رسالة كتب فيها: إنني أدعو الله كل حين وآن هنا في السجن، أن يوفق عبده المقصر هذا في خدمة الدين، ولا أريد أن يخلِّصني من السجن، بل أقول له يا إلهي أرجو أن تجعل كل ذرة من كيان هذا العبد المقصر فداء للأحمدية. (تاريخ الأحمدية مجلد ٥)

ثم تابعا لهذا الشرط العاشر للبيعة، وهو أن ينشئ (المبايع) مع سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام علاقة منقطعة النظير، نجد حدثا لسيد عبد الستار شاه ﷺ من عام ١٩٠٧ حيث مرض أصغر أبناء المسيح الموعود عليه السلام مرزا مبارك أحمد إذ أصيب بحمى تيفوئيد الشديدة، وفي أيام مرضه

رأى شخص في الرؤيا، أن مبارك أحمد يتزوج، وكتب المعبرون أن الزواج إذا كان من امرأة غير معروفة فيكون تعبير الرؤيا الموت، لكن بعض المعبرين يرون أنه إذا تم تحقيق هذه الرؤيا في الظاهر فأحيانا يزول التعبير، فحين قص الرائي هذه الرؤيا على سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قال هو الآخر أن تعبيرها موت، إلا أن التعبير يزول أحيانا إذا تم تحقيق الرؤيا في الظاهر. لذا تعالوا نزوّجْ مبارك أحمد، فالولد الذي كان لا يعرف عن الزواج بتاتا قد همَّ المسيح الموعود بتزويجه. وعندما كان حضرته عليه السلام يتحدث عن ذلك، وقع نظرُه مصادفة على "سيدة سعيدة النساء" زوجة حضرة الدكتور عبد الستار شاه رضي الله عنه في فناء البيت إذ كانت تقيم هناك ضيفةً، فناداها حضرته عليه السلام وقال لها نحن نريد أن نزوج مبارك أحمد، وابنتك مريم موجودة، إذا وافقتِ فأريد أن أزوجها مبارك أحمد. فقالت يا سيدي لا مانع عندي، لكنني أرجو أن تمهلني قليلا لأسأل الدكتور المحترم أيضا، في تلك الأيام كان الدكتور المرحوم يقيم مع أهله في الغرفة المستديرة، فنزلت زوجته ولم تجده هناك وربما كان قد خرج من البيت، فانتظرتْه قليلا ولما رجع قالت له حين يدخل أحدهم دينَ الله، يُختبر إيمانه أحيانا، وإذا اختبر الله إيمانك فهل سوف تثبت؟ فكانت تفكر آنذاك في أمرين، وخطر ببالها أن الدكتور قد يتردد في قبول هذا العرض، أولهما أنه قبل ذلك لم تُزوَّج أي فتاة من عائلته شخصا من غير السادات، والثاني أن مبارك أحمد كان مصابا بمرض مهلك، وكان الدكتور المرحوم شخصيا يعالجه، ومن ثم قد يخطر بباله أن هذا الزواج محاط بالمخاطر بنسبة تسع وتسعين في المائة، وبذلك يخشى أن تبيت الفتاة أرملة عاجلا، ونظرا لهذه الأمور كان أهل الدكتور يخافون أن يبدي الضعف، ويضيع إيمانُه، ولذلك سألتْه أولا أن الله سبحانه وتعالى إذا اختبر إيمانه فهل سوف يثبت؟ فرد عليها الدكتور قائلا: آمُل من الله أنه سيهب لي الثبات. عندها قالت له والدة مريم بيغم المرحومة أنها صعدت إلى فوق فقال لها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أن نزوج مريمَ مباركَ أحمد، عند سماع ذلك قال الدكتور المحترم، حسنا، إذا كان سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام يريد ذلك فما الاعتراض على ذلك؟ بعد سماع ذلك بكتْ والدة مريم بيغم المرحومة رفع الله درجاتها دوما، ففاضت عيناها بالدموع تلقائيا، فسألها الدكتور المرحوم ماذا حدث؟ ألا تحبين هذه العلاقة؟ قالت بلى، أنا أحبها. والحق أن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام حين قال لي ذلك عن تزويجها خشيتُ أن يضيع إيمانكم. والآن بعد الاستماع إلى جوابكم لم أستطع أن أكف دموعي. فقد حصل الزواج، وبعد أيام ترملت الفتاة، (كما كان المرض شديدا). فانظروا كيف أن الله سبحانه وتعالى لم يضيّع إخلاص الدكتور، فقد تزوجها حضرة المصلح الموعود وكان اسمها حضرة أم طاهر مريم الصديقة رضي الله عنها.

(الفضل، قاديان، ١٩٤٤/٨/١ ص١-٢، نقلا عن سيرة سيد عبد الستار شاه ﷺ ص١٢٢-١٢٤)

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام عن حضرة السيد عبد اللطيف الشهيد ﷺ:

"في الأيام نفسها حين نزل عليّ هذا الوحي الإلهي بتواتر، وظهرت الآيات العظيمة والقوية وذاع في العالم إعلاني مدعومًا بالأدلة أني أنا المسيح الموعود، صَدَفَ أن وصلتْ كتبي إلى رجل صالح اسمه أخوندزاده عبد اللطيف في منطقة خوست على تخوم كابول. واطلع على جميع الأدلة النقلية والعقلية والتأييدات السماوية التي سجلتها في كتبي. (أي سجلتُها في كتبي بتأييد من الله تعالى)، ولما كان هذا الرجل الصالح طيب الباطن جدا وصاحب علم وفراسة وخاشعا لله وورعا وتقيا، تركَتْ الأدلةُ في قلبه تأثيرا قويا، ولم يجد في تصديق هذا الإعلان أية صعوبة. وأقرَّ طبعه النقي دون أدنى تردد أن هذا الشخص مبعوث من الله، وأن هذا الإعلان صحيح. فبدأ يقرأ كتبي بكل حب وشغف، وجُذبتْ روحه المهيّأة والصافية إليَّ جذبًا، فتعذر عليه البقاء بعيدا عني دون اللقاء. وكانت نتيجة هذا الجذب القوي والحب والإخلاص أنْ عقد العزم على الحج بعد الاستئذان من حاكم ولاية كابول، وقدّم إلى الحاكم طلبه بالسفر. ولما كان يُعتبَر عالما كبيرا، بل رئيس العلماء في نظر حاكم كابول، فلم يقتصر الأمر على نيله الإذن، بل أُعطِي بعض النقود أيضا مساعدة، وبعد هذا الإذن وصل إلى قاديان. والذي نفسي بيده، حين قابلني وجدته في طاعتي وتصديق دعواي صادقا متفانيا بما لا مزيد عليه، وقد وجدتُه مفعمًا بحبي كزجاجة مليئة بالعطر، وكان وجهه نورانيا كما كان قلبه نورانيا." (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية مجلد ٢٠ ص٩-١٠)

ثم يقول سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، عن حضرة الخليفة الأول ﷺ:

"لا أستطيع الامتناع هنا عن شكر الله والقول إنه تعالى بفضله ورحمته لم يتركني وحيدا وإن الذين هم على علاقة الأخوة بي والداخلين في هذه الجماعة التي أسسها الله تعالى بيده؛ متصبغون بصبغة مذهلة من الحب والإخلاص. لم أكسب هذه الأرواح المليئة بالصدق بجهدي بل وهبنيها الله تعالى بفضله الخاص. وإنني أعلم يقينا بناء على تجربتي، وليس نتيجة حسن الظن فقط، أنه لن يقصّر في بذل النفس والجاه في سبيلي دع عنك المال. ولو سمحتُ له لضحّى بكل شيء في هذا السبيل وأدّى حق البقاء الدائم في الصحبة المادية كما هو بالصحبةِ الروحانية.

أنقل هنا بضعة أسطر من بعض رسائله كنموذج للقراء الكرام ليعرفوا مدى تقدّم أخي الحبيب المولوي الحكيم نور الدين البهيروي، الطبيب في ولاية جامون، في مدارج الحب والإخلاص. وفيما يلي تلك

الأسطر:

"مولانا ومرشدنا وإمامنا، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيدي، أدعو الله تعالى أن أكون حاضرا في جنابكم دائما، وأن أنال من إمام الزمان جميع الأهداف التي من أجلها بُعث مجددًا. لو سمحتم لي لاستقلت من الوظيفة وبقيت على عتباتكم ليلَ نهارَ. أو إذا أمرتموني تركتُ هذه العلائق لأتجول في الدنيا وأدعو الناس إلى الدين الحق وأبذل نفسي في هذا السبيل. إني لك الفداء، كل ما أملكه ليس لي بل هو لك كله.

يا سيدي ومرشدي، أقول بكامل الصدق إنه لو بُذل جلُّ مالي في سبيل نشر الدين لفزتُ بمرامي.... إن لي معكم نسبة فاروقية، وإنني على أتم الاستعداد لبذل كل غال ورخيص وطارف وتليد في هذا السبيل. ادعُ لي من فضلك ليكون موتي موت الصديقين.

إنَّ صِدْقَ المولوي الممدوح وعزمه ومواساته وتضحيته كما يَترشّحُ من مقاله يتجلّى أكثر من خلال خدماته العفيفة. وهو يودّ مدفوعا بعاطفة الحب والإخلاص الكامل أن يضحّي في هذا السبيل بكل شيء حتى أسباب معيشة أهله الأساسية. إن روحه تدفعه – لحبِّه وإخلاصه المفرطَين – للتقدم أكثر من استطاعته، فهو عاكف على الخدمة في كل حين وآن." (فتح الإسلام، الخزائن الروحانية ج٣ ص٣٥-٣٧)

وكتب المسيح الموعود عليه السلام ردًّا على أحد المعترضين فقال:

"تقول بأنه ليس في الجماعة أحد يتصبغ بصبغة عملية عُليا غير الحكيم المولوي نور الدين أما البقية فهم هكذا وهكذا. لا أعرف كيف تجيب أمام اللهَ عزّ وجلّ على هذا الافتراء. يمكنني أن أحلف أنّ مئة ألف شخص على الأقل في جماعتنا قد آمنوا بي بصدق القلب ويعملون الصالحات. وحين استماعهم إليّ يبكون حتى تبتلّ جيوبهم. إنّني أرى في الآلاف من أتباعي تغيّرًا كبيرًا بحيث أعدّهم أفضل بآلاف المرات ممن آمنوا بموسى أثناء حياته. وأرى في وجوههم نور الإيمان والصلاح مثل نور صحابة رسول الله ﷺ. وإذا كان هناك من لم يصل إلى الدرجة المطلوبة من الصلاح بسبب ضعفه الفطري فهو في حكم النادر."

يقول حضرته: "أرى أن التَقدّم الذي أحرزته جماعتي في البر والصلاح لهو معجزةٌ في حد ذاتها. إنَّ الآلاف منهم مستعدون بصدق القلب لكل تضحية، فلو دعوتهم اليوم إلى التخلي عن جميع أموالهم، فإنّهم مستعدون لذلك. ورغم ذلك فأنا أَعِظُهم وأحثّهم على المزيد من التقدّم في هذه السبيل. إنني لا

أحدثهم عن فضائلهم ولكنني أشعر بسعادة كبيرة في قلبي." (سيرة المهدي، الجزء الأول، ص١٦٥)

ما قدمتُ إلا نماذج قليلة في حين أن هناك آلاف بل مئات الآلاف من مثل هذه النماذج منتشرة في هذه الجماعة المحبوبة للمسيح الموعود عليه السلام. لقد ذكر حضرة المسيح الموعود عليه السلام في زمانه أن أصحاب هذه النماذج يبلغون مئات الآلاف، ولكن الآن زاد كثيرًا جدًّا عدد الذين أقاموا معايير رفيعة في الإخلاص والتضحيات. وهناك كثيرون لم تظهر قصص وفائهم وإخلاصهم وعلاقة محبتهم وطاعتهم، فإنهم أتوا بهدوء، وسطَّروا أمثلة في المحبة والوفاء والطاعة، ثم مضوا بهدوء. ينبغي لأبناء هؤلاء المخلصين أن يدونوا حوادث آبائهم وأجدادهم، ويحفظوها لدى الجماعة، ويستمروا في بيان تلك الروايات في عائلاتهم، ويخبروا أجيالهم القادمة بأن آباءنا قد أقاموا هذه الأمثلة العالية، وعلينا أن نقتدي بها ونستمر بها.

ونحن إذ نغبط هؤلاء الصلحاء على تضحياتهم وعلى أنهم ورثوا دعوات إمام الزمان، فلنذكر أيضًا أن فرص جمع هذه الدعوات ما زالت موجودة اليوم أيضًا. فهلمّوا بنا نستمر في إقامة أمثلة الوفاء والإخلاص والطاعة والمحبة، ونصبح ورثة لأفضال الله تعالى. تذكَّروا أنه ما دامت مثل هذه الأمثلة قائمة، فلن تستطيع المعارضة الأرضية أن تضرَّنا بشيء. واحفظوا دائمًا هذا القول للمسيح الموعود عليه السلام:

"لن تستطيع الأرض أن تضرَّكم شيئًا إذا كانت لكم علاقة متينة بالسماء."

لقد شاهد الأغيار أيضًا هذه التغييرات، واعترفوا بها. بل وكانت هذه التغييرات واضحة جدًّا وجلية حتى اضطروا إلى الاعتراف بها، وأقرُّوا بأنَّ تغييرات كثيرة حدثت في الأحمديين بعد اتباعهم إمام الزمان، ولكنهم مع ذلك ظلوا يرفضون الإيمان.

على كل حال، سأقدم بعض النماذج لهذه الاعترافات.

كتب العلامة محمد إقبال قائلًا:

"لقد ظهر في البنجاب، نموذج أصيل للسيرة الإسلامية في شكل هذه الجماعة التي يُطلق عليها الفرقة القاديانية." (الحياة القومية والملة البيضاء، ص ٨٤)

وكتب العلامة نياز فتح پوري عن حضرة المسيح الموعود عليه السلام:

"لا جدال في أنه قد أحيا الأخلاق الإسلامية من جديد، وأوجد جماعةً يمكننا أن نسميها بكل يقين انعكاسًا لأسوة النبي ﷺ." (ملاحظات نياز فتح پوري، ص ٢٩)

ثم كتب محرر جريدة "ستيتسمان" الصادرة في دهلي:

"لقد ظهر في المدينة المقدسة قاديان نبيّ هندي، وملأ كلَّ ما حوله بالخير والأخلاق الرفيعة، وهذه الصفات الحميدة تنعكس أيضًا في حياة مئات الآلاف من أتباعه." (ستيتسمان، ١٢ فبراير ١٩٤٩م)

وكتب عبد الرحيم أشرف الآزاد، وهو يتحدث عن التغيير الذي حدث في أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية:

"هناك آلاف الناس قد ابتعدوا عن عشائرهم من أجل هذا الدين الجديد، وتحمّلوا الخسائر الدنيوية، وقدّموا التضحيات بالنفس والمال... نحن نعترف برحابة الصدر أن فئة القاديانيين تحتوي على عدد معقول من الناس الذين يقدّمون من أجلها تضحية المال والنفس والموارد الدنيوية والعلاقات، معتبرين إياها حقيقة صادقة. وإنهم هم الذين قبل بعضهم عقوبة الإعدام في كابول بطيب الخاطر، واختار آخرون (للتبشير بمعتقداتهم) حياة الفقر والعوز في أماكن نائية بعيدة خارج أوطانهم." (المنبر الأسبوعية، عدد ٢ مارس ١٩٥٢م، ص ١٠)

من سوء حظهم أنهم لم يوفقوا للإيمان مع اعترافاتهم المذكورة. ولكن الحمد لله أن اعترافاتهم هذه قد قوّتْ إيماننا. نسأل الله تعالى أن يزيد في إيماننا ويقيننا زيادة مستمرة، وأن نكون من الذين يحققون كل شرط من شروط البيعة بطيب الخاطر معتبرين ذلك فرضًا على أنفسهم، وأن نكون وارثين لرضا الله تعالى. آمين